

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ ٢٠٢٤/٦/٧

أضواء على فريضة الحج

الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستهديه ونستغفرُه ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل له ولينا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيهه ولا مثيل له مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، وأشهد أن سيدنا وحبينا وقائدنا وقرّة أعيننا محمداً عبداً لله ورَسُولُه وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه أرسله اللهُ بالهدى ودين الحق هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فهدى اللهُ به الأمة وكشف به الغمة وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور فجزاه اللهُ خيراً ما جرى نبياً عن أمته اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد عباد الله فأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله العظيم فاتقوا الله رب العالمين. يقول الله تعالى في القرآن الكريم في سورة الحج ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١٩﴾﴾^١.

الكلام في تفصيل مناسك الحج يطول ويطول ولا يكفي هذا المقام لاستيعاب ذلك كله، ولكي أريد أن أتبه على مسألتين مهمتين فأقول وبالله التوفيق.

المسألة الأولى

قد نرى كثيراً من الناس ممن عزموا على الحج أعد ما يحتاج إليه من طعام وشراب ودواء وثياب إحرام وحجز في الفندق الفلاني ويطول كلامه في مثل هذه الأمور حتى لربما حسب السامع أنه مسافر للإستجمام لا للحج، وإذا ما قلت له هل تزودت للحج بما هو أهم من كل ما ذكرته علت وجهه ملامح الدهشة والإستعراب وبادرك بسؤال المتعجب فيقول وماذا بقي بعد؟ فتقول

^١ سورة الحج.

لَهُ الْعِلْمُ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْإِهْتِمَامُ لِأَمْرِ الْعِلْمِ حَتَّى تَضْمَنَ صِحَّةَ حَجِّكَ لِئَلَّا يَذْهَبَ الْمَالُ وَالتَّعَبُ وَالْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَالسَّفَرُ سُدَى بِلَا طَائِلٍ، فَإِنَّ مَنْ جَهَلَ أَحْكَامَ الْحَجِّ فَدَخَلَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَضْمَنُ صِحَّةَ مَا يَقُومُ بِهِ، وَهَكَذَا شَأْنُ الْجَاهِلِ يُرِيدُ أَنْ يُصْلِحَ فَيُفْسِدُ فَيَقُولُ لَكَ إِذَا ذَهَبْتُ إِلَى هُنَاكَ نَظَرْتُ مَاذَا يَفْعَلُ النَّاسُ فَفَعَلْتُ مِثْلَهُمْ. أَوْ يَقُولُ وَمَا الْحَاجَةُ إِلَى التَّعَلُّمِ فَالْعِبْرَةُ بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ، وَكُلُّ هَذَا لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِمَّنْ جَهَلَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فَيُقَالُ لَهُ قَالَ الْعُلَمَاءُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ لَا يَدْخُلَ فِي شَيْءٍ حَتَّى يَعْلَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَمَا حَرَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَعَبَّدَنَا أَيْ كَلَّفَنَا بِأَشْيَاءَ فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ مَا تَعَبَّدَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَنْ دَخَلَ فِي عِبَادَةٍ مَا أَوْ مُعَامَلَةٍ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ كَالتِّجَارَةِ وَالشَّرِكَةِ مَثَلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَفِي الْعَالِيَةِ يَقَعُ بِسَبَبِ جَهْلِهِ فِي مُفْسِدٍ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ فَلَا يَصِحُّ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي، وَلَا يَكُونُ مَعذُورًا بِجَهْلِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهْلَ لَيْسَ عُذْرًا فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالتَّالِيِ لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ لِمُرِيدِ الْحَجِّ أَوْ الزَّكَاةِ أَوْ الصَّلَاةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ١ اه

المسألة الثانية

قَدْ حَصَلَ مِنْذُ سِنِينَ قَلِيلَةٍ أَنْ تَقَدَّمَ أَحَدُ أَدْعِيَاءِ السَّلَفِيَّةِ بِاقْتِرَاحِ مَضْمُونِهِ الدَّعْوَةَ إِلَى زِيَادَةِ عَرْضِ الْمَسْعَى، وَلِلْأَسَفِ تَمَّ الْعَمَلُ بِهَذَا الْاِقْتِرَاحِ فَأَخْرَجُوا الْمَسْعَى عَنْ حَدِّهِ الَّذِي يَصِحُّ فِيهِ السَّعْيُ. وَإِنَّ مِمَّا يَثِيرُ الْاِسْتِعْرَابَ أَنَّ أَدْعِيَاءَ السَّلَفِيَّةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحَارِبُونَ الْبِدْعَةَ وَيَرُونَ كُلَّ مُحَدِّثٍ فِي الدِّينِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلَالَةً وَنَرَاهُمْ بِتَوْسِعَتِهِمْ لِلْمَسْعَى قَدْ ابْتَدَعُوا مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ وَلَا أَجَازُهُ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُعْتَبَرِينَ. فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَشْرِ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^٣. وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ ٢ اه

^١ رواه البيهقي في المدخل باب رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم.

^٢ سورة الحشر/ الآية ٧.

^٣ رواه مسلم في كتاب الحج باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر رابعا.

وَأَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ كَمَا فِي الْمِنْحَةِ لِابْنِ عَابِدِينَ الْحَنْفِيِّ وَالْمَجْمُوعِ لِلتَّوَوِيِّ
الشَّافِعِيِّ وَالرَّوْضِ الْمُرْبِعِ لِمَنْصُورِ الْبُهَوِيِّ الْحَنْبَلِيِّ وَشِفَاءِ الْغَرَامِ لِلتَّقِيِّ الْفَاسِيِّ الْمَالِكِيِّ عَلَى أَنَّ السَّعْيَ
خَارِجَ الْحَدِّ الَّذِي بَيَّنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَصِحُّ.

فَمَنْ سَعَى فِي التَّوَسُّعَةِ الْجَدِيدَةِ لَا يَصِحُّ سَعْيُهُ، فَالْحَدَّرَ الْحَدَّرَ وَقَدْ تَصَدَّى لِلرَّدِّ عَلَى هَذَا غَيْرُ
وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا، وَلِيَعْلَمَ كُلُّ مَنْ يُفْتِي بِصِحَّةِ السَّعْيِ فِي الْمَسْعَى الْجَدِيدِ أَنَّهُ
يَضَعُ فِي ذِمَّتِهِ مَلَائِينَ الْمُسْلِمِينَ وَكُلُّ مَنْ اكْتَفَى بِالسَّعْيِ فِي الْمَسْعَى الْجَدِيدِ فَقَطُّ مِمَّنْ أَرَادُوا النَّسْكَ
سَيَبْقَى فِي حُكْمِ الْمُحْرَمِ حَتَّى يَمُوتَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَلْيَسْعَ مَنْ يُرِيدُ السَّعْيَ فِي الطَّابِقِ
السُّفْلِيِّ أَوْ لِيَسْعَ ذَهَابًا وَرُجُوعًا فِي الْمَسْعَى الْمُخَصَّصِ الْآنَ لِلرُّجُوعِ مِنَ الْمَرَّةِ إِلَى الصَّفَا وَاللَّهُ يُوقِي
مَنْ يَشَاءُ.

هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي
بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوهُ.

Chers bien-aimés, si l'on veut expliquer en détail les rites du pèlerinage, cela prendrait beaucoup de temps et cette assemblée ne suffit pas pour les citer de manière exhaustive. Cependant j'aimerais attirer votre attention sur trois questions importantes. C'est pourquoi je dis, et c'est par la grâce de Dieu qu'a lieu la réussite :

La première question : il se peut que nous voyions de nombreuses personnes, décidées à partir au pèlerinage, en train de préparer tout ce dont elles ont besoin : nourriture, boissons, médicaments, vêtements d'*ihram*, réservation dans tel hôtel. Le voyageur sur le départ peut en parler longuement au point que celui qui l'entend pourrait penser qu'il part en voyage de repos et de délasserment et non pas du pèlerinage. Et si jamais tu lui posais la question : « *As-tu pris en provision pour le pèlerinage ce qui est plus important que tout ce que tu viens de citer ?* » alors la surprise et l'étonnement serait visible sur son visage et il te demanderait tout de suite, étonné : « *Et qu'est-ce qu'il me reste à prendre après tout cela ?* » et tu lui dirais : « *La science ! Il convient que tu accordes de l'importance à la science afin que tu puisses te garantir la validité de ton pèlerinage, de sorte que l'argent, la fatigue, la faim, la soif, le voyage ne partent pas en vain, sans aucun bénéfice.* » En effet, celui qui ignore les jugements du pèlerinage et qui

s'y engage sans science ne se garantit pas la validité de ce qu'il accomplit. Tel est le cas de l'ignorant, il veut bien faire mais il fait tout faux. Il te dit : « *Quand je vais là-bas, je verrai ce que font les gens et je ferai comme eux* » ou bien il te dit : « *Quel besoin d'apprendre ? Ce qui compte, c'est la bonne intention* » !!

Et tout cela ne provient que de la part de quelqu'un qui a ignoré la réalité des choses. On lui dit : « *Les savants ont dit qu'il est un devoir pour tout musulman de ne pas s'engager dans une quelconque activité avant d'avoir appris ce que Dieu en a rendu licite et ce qu'Il en a interdit. Dieu nous a chargé d'accomplir certaines choses par soumission envers Lui, il est donc indispensable de prendre en considération ce que Dieu nous a chargé de faire.* » Cela veut dire que celui qui s'engage dans n'importe quel acte d'adoration ou dans une transaction comme le commerce ou l'investissement dans une société par exemple, sans science, aura désobéi à Dieu. Et très souvent il tombe, à cause de son ignorance, dans un des actes invalides de sorte que son acte n'est pas valable, sans qu'il le sache, et il ne sera pas excusé par son ignorance.

En effet, l'ignorance n'est pas une excuse dans la religion agréée par Dieu تعالى. Par conséquent il est indispensable d'apprendre la science pour celui qui veut faire le pèlerinage, donner la *zakat*, faire la prière ou autres choses parmi l'ensemble des actes d'adorations et des transactions. *Al-Bayhaqiyy* a rapporté de 'Anas, que Dieu l'agrée, que le Prophète صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ a dit : ce qui signifie : « **Querir la science est une obligation pour tout musulman.** »

La deuxième question : Dieu تعالى a accordé au pèlerinage une faveur qui ne se retrouve pas dans les autres adorations, à savoir que le pèlerinage expie les grands péchés et les petits péchés. Mais il convient d'accomplir les causes permettant d'obtenir ce pardon. La condition pour que le pèlerinage expie les péchés et qu'il fasse que la personne redevienne comme au jour où sa mère l'a mis au monde, c'est que son intention soit sincère pour l'agrément de Dieu seul et qu'elle ne soit entachée par aucun des intérêts du bas-monde. Il y a aussi que ses biens, l'argent qu'il a pris en provision pour son pèlerinage, soit licites, contrairement à celui qui se rend au pèlerinage avec de l'argent interdit, comme l'argent du *riba* –du gain usuraire– ou tout autre argent que beaucoup de personnes gagnent aujourd'hui par des moyens interdits, il n'obtient pas cette faveur. Tout comme il est une condition pour obtenir cet honneur de se préserver durant le pèlerinage des grands péchés et du rapport sexuel pendant la durée de son '*ihram*.

Que l'on sache que ce pardon ne signifie pas que le pèlerin en question s'est débarrassé, par le simple pèlerinage, des droits que les gens auraient sur lui sans qu'il ne s'en soit acquitté. En effet, celui sur qui pèsent des droits envers certaines personnes, il est indispensable de les restituer à leurs ayant-droits ou bien que l'ayant-droit ne l'en excuse. Ces droits ne sont pas annulés par le simple accomplissement du pèlerinage.

De même l'accomplissement du pèlerinage ne décharge pas le pèlerin du rattrapage des obligations qu'il a manquées, comme la prière ou autre, et qui restent à sa charge.

La dernière question : il est arrivé voici quelques années qu'un de ceux qui prétendent être salafistes fasse une suggestion qui, en substance, appelait à augmenter la largeur du couloir

entre *As-Safa* et *Al-Marwah*. Malheureusement cette suggestion a été mise en œuvre et ils ont élargi ce couloir au-delà de la limite dans laquelle le *sa^y* est valable.

Parmi les sources d'étonnement, il y a que les autoproclamés salafistes prétendent qu'ils combattent la *bid^ah* –l'innovation– et qu'ils considèrent que toute innovation dans la religion après le Prophète est un égarement. Or nous constatons que par leurs travaux d'élargissement du couloir, ils ont innové ce que Dieu n'a pas autorisé, ni Son Messenger, et ce qu'aucun des gens de science dignes de considération n'a déclaré permis. Dieu تعالى dit dans sourate الحشر *Al-Hachr* : ce qui signifie : « **Ce que le Messenger vous a ordonné de faire alors faites-le, et ce qu'il vous a interdit de faire alors abstenez-vous en.** » Et d'après *Jabir* que Dieu l'agrée, le Prophète صلى الله عليه وسلم a dit : ce qui signifie : « **Prenez [de moi] les rites de votre pèlerinage car il se peut que je ne fasse plus de pèlerinage après celui-ci.** »⁵

Les savants des quatre écoles ont été unanimes – comme cela figure dans *Al-Minhah* de *Ibnou ^Abidin* le Hanafite, *Al-Majmou^* de *An-Nawawiyy*, le chaféite, *Ar-Rawdou l-Mourbi^* de *Mansour Al-Bouhoutiyy* le Hanbalite et *Chifa'ou l-Gharam* de *At-Taqiyy Al-Faci* le Malikite – à dire que les trajets –*as-sa^y*– en dehors de la limite indiquée par le Messenger de Dieu صلى الله عليه وسلم ne sont pas valides.

Si quelqu'un fait les *sa^y* dans la nouvelle extension, ses trajets ne sont pas valables. Que l'on y prenne bien garde car ce n'est pas un seul savant, mais plusieurs, que Dieu les rétribue en bien, qui ont lutté pour faire objection contre ce qui a été fait là. Que l'on sache que quiconque donne l'avis que le *sa^y* dans le nouveau couloir serait valable, prendra la responsabilité pour des millions de musulmans. Et quiconque s'est contenté de faire les trajets dans le nouveau couloir seulement, en étant de ceux qui ont voulu accomplir les actes rituels, restera dans le jugement de celui qui a entamé le rituel –*mouhram*– jusqu'à ce qu'il meure !

Alors craignez Dieu en ce qui vous concerne, et que celui qui veut accomplir les trajets les fasse au niveau inférieur –au sous-sol– ou qu'il fasse l'aller et le retour dans la partie du couloir actuellement consacrée au retour depuis *Al-Marwah* vers *As-Safa*, et Dieu accorde la réussite à qui Il veut.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٦ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ

⁵ Rapporté par *Mousslim*.

⁶ سورة الاحزاب / ٥٦.

صَرَّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ اللَّهُمَّ
أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِنَا وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي
فِيهَا مَعَادُنَا وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا
تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ اذْكُرُوا اللَّهَ
الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوا يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.